أسلوب التكرار في القرآن الكريم

Muhammad Luthfil Anshori
Sekolah Tinggi Agama Islam Al-Anwar Sarang Rembang
mluthfil.anshori@yahoo.com
DOI: http://dx.doi.org/10.18326/lisania.v1i1.56-73

Abstract
This study discusses analytically the phenomenon of repetition (al-takrâr) contained in the Qur'an. It aims to conceptually describe the phenomenon of repetition in the Qur'an, including: the definitions, types, and functions. The results of this study reveal the disagreements among scholars and academics related to this phenomenon. Some argue that the phenomenon of repetition in the Qur'an is one side of deficiency, or even disgrace that can damage the beauty and majesty of the Qur'an. Yet others argue that it is one common language style used in Arabic literature, which has specific aims and functions. In fact, the repetition gives a deep impact and impression to its readers.

Keywords*: Uslûb, Repetition, Qur`an*

Abstrak
Penelitian ini mengkaji secara eksploratif dan analitis tentang fenomena pengulangan *(al-takrâr)* yang terdapat di dalam al-Qur`an. Tujuan dari penelitian ini adalah untuk mendeskripsikan secara konseptual tentang adanya fenomena pengulangan di dalam al-Qur`an, meliputi; definisi, jenis, serta fungsi dari pengulangan tersebut. Hasil dari penelitian ini mengungkapkan adanya perselisihan pendapat di kalangan ulama dan akademisi terkait fenomena ini. Sebagian kalangan berpendapat bahwa, adanya fenomena pengulangan di dalam al-Qur`an merupakan salah satu sisi kekurangan, bahkan aib, yang bisa merusak keindahan dan keagungan al-Qur`an itu sendiri. Namun sebagian yang lain justru menyatakan bahwa fenomena pengulangan merupakan salah satu gaya bahasa yang lazim digunakan dalam sastra Arab, yang memiliki tujuan serta fungsi tertentu. Bahkan, adanya pengulangan tersebut memberikan pengaruh dan kesan yang mendalam bagi para pembacanya.

Kata Kunci: *Uslûb*, Pengulangan, al-Qur`an

مقدمة

القرآن هو كتاب الله عز وجل الذى يتضمن كلماته إلى خاتم رسله وأنبيائه محمد عليه الصلاة والسّلام. وللقرآن خصائص كثيرة، منها الإعجاز. ووجوه الإعجاز في القرآن متنوعة وعديدة، فكل شيئ منه لا نظير له، فهو باهر في ألفاظه وأسلوبه، في تأليفه ونَظْمِه، في بيانه وبلاغته، في تَشْريعه وحِكَمه التي حيَّرَت الألبابَ، في أنبائه وأخباره، في تاريخه وحفظه، وفي عُلومه التى لا تنقطع ولا تَقِف عندَ غايةٍ.

وانطلاقا مما سبق، بذل العلماء والدارسون جهودهم في كل عصر ومصر لفهم معانى القرآن درسا وبحثا واستنتاجا. فللفقهاء والأصوليين فيه أهداف، وهم إليها طريق ومنهج. وللفلاسفة والمتكلمين فيه أهداف، وإليها طريق ومنهج، وللغويين فيه أهداف، ولهم إليها شرعة ووسيلة. ولغير هؤلاء من طلاب العلم والدرس أهداف ومناهج.

وفي هذا البحث، يريد الباحث درس القرآن الكريم من ناحية خصائصه التعبيرية، التى تتميز من غيرها من التعبيرات الأخرى. ومن هذه الخصائص التعبيرية للقرآن هي ظاهرة التكرار. والتكرار فنّ قولي من الأساليب المعروفة عند العرب، بل هو من محاسن الفصاحة (السيوطي، ٢٠٠٤: ١٧). ويعتبر التكرار في القرآن الكريم من أبرز الظواهر البلاغية التي شغلت الباحثين قديما وحديثا، واشتغالهم هذا يدل على الأهمية التي تحملها هذه الظاهرة في طياتها، فعلى الرغم من كونها كثيرة في لغة العرب. وهي من فنون القول عندهم، فهي بالإضافة إلى هذا، مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني، فالقرآن الكريم يكرّر الفكرة دون أن نشعر بالملل، بأن نجد الفكرة في أثواب متعددة وألوان شتى، فكلما ظهرت في لون ازدادت قرارا في النفس والفكر، فإذا هي قد وصلت إلى القلب والعقل في غير إكراه ولا إلزام.

منهج البحث

سيتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي الموضوعي، وذلك من خلال النقاط التالية: (١) جمع الآيات القرآنية التي توجد فيها أساليب التكرار، ودراستها دراسة بلاغية. (٢) تحليل تلك الأسليب وفقا لطبيعة البحث في الدراسة عن الأسرار البلاغية. (٣) الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين مع التوثيق في الحاشية

حسب الأصول، مع الاستعانة بمصادر ومراجع عامة مما له علاقة بالبحث. (٤) كتابة الآيات القرآنية المذكورة بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها مع ذكر رقم الآية، وتوثيق ذلك في متن البحث تجنبا لإثقال الحواشي. (٥) الوقوف على اللطائف والإشارات والعبر والعظات، واستنباط الأحكام التي تخدم موضوع البحث.

مفهوم التكرار

جاء في لسان العرب التكرار في اللّغة أصله من الكرّ بمعنى الرّجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف. فـ"كَرَّرَ" الشيء وكَرْكَرَهُ أي: أعاده مرة بعد أخرى. وقد يأتي له تصريف آخر هو التكرير، يقول الجوهري: الكرّ: الرجوع، يقال: كرّرت الشيء تكريرًا وتكرارًا. ويقال كرّرت عليه الحديث وكركرته: إذا ردّدته عليه، والكرّ الرجوع على الشيء، ومنه التّكرار والتكرّة بمعنى التّكرار.

وجاء في صحاح الجوهريّ، كرّرت الشيء تكريرا وتكرارا. قال أبو سعيد االضّرير: قلت لأبي عمرُ ما بين تِفْعال وتَفعال، فقال: تِفعال اسم، وتَفْعَال بالفتحِ مصدرٌ، والمكرّر من الحروف الرّاء، وذلك لأنّك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغيّر بما فيه التّكرير، ولذلك احتسب بالإحالة بحرفين (ابن منظور، دون السنة: ٢٤٠-٢٤١).

وجاء في البرهان للزركشي: «وهو مصدر: كرّر، إذا ردّد وأعاد، "هو تَفْعَال"، بفتح التّاء، وليست بقياس الخلاف "التّفعيل". وقال الكوفيُّون: هو مصدر "فَعَّلَ"، والألفُ عوض من الياء فنني التَّفعيل، والأوَّل مذهب سيبويه (الزركشي، دون السنة: ٨).

ومن معانيه أيضا: البعث وتجديد الخَلْق بعد الفناء، وكأنّني به يريد أن يقول للمتكلّم على سبيل المثال، يذكر عدّة جمل متتالية، وبعد فترة من الحديث يكاد المستمع أن يصل إلى نسيان ما قيل في أوّل الكلام، فنجد المتكلّم يعود ليكرّر بعض ما قاله أولا، ليذكر المستمع ويبعث الجملة، ويحددها بعد أن كادت تنسى. ويذكر الرضي –كذلك– معنى التكرار قائلا: التّكرَار ضمّ الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إيّاه في المعنى للتأكيد والتّقرير (الفقي، ٢٠٠٠: ١٨).

ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، "الكافُ والرّاءُ أصلٌ صحيح يدلُّ على جمع وترديد، من ذلك كرّرت، وذلك رجوعك إليه بعد المرّةِ الأولى فهو التّرديدُ" (ابن فارس، دون السنة: ١٢٦).

واختلف العلماء من اللغويين والمفسرين في تعريف التكرار اصطلاحا. عرّفه ابن الأثير بأنه "دلالة اللفظ على المعنى مردّدا" (الأثير، ١٩٨٤: ٧٠). ويعرفه الجرجانيُّ بقوله : "التّكرار: عبَارة عن الإتيان بشيء مرةً بعد أخرى" (الجرجاني، ٢٠٠٠: ٦٩). ويقول صفي الدين الحلي أن التكرار هو "أنْ يكرّر المتكلّم الكلمة أو الكلمتين بلفظها ومعناها، لتأكيد الوصفِ أو المدحِ أو غيرِه من الأغراضِ" (الحلي، ١٩٨٢: ١٣٤).

وهناك من عرف التكرار بأنه ذكر الشيء ثانيًا بعد ذكره أولاً، وكثرته بذكره ثالثًا، والمراد بالكثرة ما فوق الواحد، وإنما شرط الكثرة؛ لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة، وإلا قبح التوكيد اللفظي (عوني، دون السنة: ٤٦). ويقول الزركشي فيما يتعلق بالتكرار أن "حقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، خشية تناسى الأول، لطول العهد به" (الزركشي، دون السنة: ١٠). وأكد خالد بن عثمان السبت هذه التعريفات نقلا من العلماء السابقين، أن التكرار هو إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى، وهو أيضا ذكر الشيئ مرتين فصاعدا أو هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا. ثم عقب بعد ذلك بقاعدة عامة وهي: "قد يرد التكرار لتعدد المتعلَّق" (البيت، ١٤٢١ هـ: ٧٠١-٧٠٢).

هذه القاعدة بمثابة بيان عن وجود ظاهرة التكرار في القرآن حيث أنها تكررت بعض الآيات أو الجمل، في بعض سور القرآن في مواضع مختلفة. وهذه الظاهرة مما أثار تساؤلا عند البعض في وجه ذلك، والذى أدى إلى هذا الإشكال هو توهم هؤلاء أن تلك الجملة أو الآيات المكررة لا تختلف في مدلولها ومرجعها عن التى قبلها، وهذا غير صحيح، ذلك أن كل أية أو جملة من تلك الآيات إنما تتعلق بما ذكر قبلها من كلام الله عز وجل. وهذا لا يعد ذلك من التكرار في شيئ (البيت، ١٤٢١ هـ: ٧٠٢).

بعد هذا العرض السريع عن تعريف التكرار لغة واصطلاحا نلاحظ أنه تعريف عام لظاهرة التكرار الموجودة فى استعمال الكلمات أو الجمل عند العرب، ولم نجد فيه أي تعريف خاص عن التكرار المتعلق بالقرآن على وجه جامع ومانع. وبناء على ذلك

سعى الباحث إلى تقديم وتشكيل تعريف جديد مع مراعاة النظر إلى جميع ظواهر التكرار وعناصره في القرآن، أنه "تكرار الألفاظ أو الآيات أو الموضوعات المعينة –كقصص الأنبياء والأمم الغابرة أو الخبر عن الجنة والنار وكذلك الترغيب والترهيب ونحوها– لأهداف متنوعة التى قصدها الشارع الحكيم تبارك وتعالى."

ومع أن وجود ظاهرة التكرار في القرآن أمر واضح وجلي، ولكن العلماء يختلف بعضهم بعضا في فهم كونه تكرار حسن أو قبيح وهل هذا التكرار يستلزم اتحاد المعنى أو أنه يدل على تنوع المعانى باختلاف المواضع؟ هذه الأسئلة وما يجرى حولها سنعرضها ونشرحها في السطور الآتية بإذن الله.

التكرار في القرآن

من خلال عرض بعض التعريفات السابقة يظهر لي أن مصطلح التكرار مصطلح يحتاج إلى إعادة النظر فيه؛ إذ أنه مصطلح فيه شيء من الاضطراب، وهذا ما جعل النقاد يقفون منه موقفًا مختلفًا؛ فمنهم من فهم من التكرار معنى العيب والنقص، ومنهم من فهم منه نوعًا من أنواع البلاغة وفنا من فنونها؛ ولذلك اختلف العلماء والمفسرون في وصف القرآن بالتكرار، هل في القرآن تكرار؟ أو لا يوجد في القرآن تكرار؟

فمن نظر إلى أن التكرار عيب من عيوب الكلام ونقصٌ فيه، نفى أن يكون في القرآن تكرار، فوقع في إشكالية المصطلح، فماذا يمكن أن يطلق على التعدد في قوله تبارك وتعالى في سورة الرحمن: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)؟ فوقع في حرج، فمنهم من أطلق عليه: "متشابه" استنادًا لقوله تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾) [الزمر: ٢٣].

وعلى هؤلاء نورد تساؤلاً: التشابه يقتضي الاختلاف، فمن أطلق على الآيات التي وردت في سورة الرحمن –على سبيل المثال– متشابهات، فما الاختلاف الذي بينها؟! فأي تشابه لابد أن يقتضي بعض الجوانب التي يكون فيها اختلاف، فما هي جوانب الاختلاف؟

وهذه الطائفة من العلماء الذين نفوا وجود التكرار في القرآن يميلون إلى تضييق معنى التكرار وحصره في إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، فإذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو أعيد اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص، فلا يكون ذلك تكرارا، وعليه يكون التكرار في الكلام معيبا غير مقبول، ولا يدخل فيه التوكيد ولا تشابه الألفاظ وتماثلها، وإن أعيد اللفظ في سياق آخر فليس من التكرار فى شيئ.

وقد اختار بهذا الرأي ومال إليه عدد من العلماء، منهم أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، الذى ينفى التكرار في الآيات المتقاربة أو المتتابعة بقوله: "وغير موجود في شيئ من كتاب الله آيتان متجاورتان مكررتان بلفظ واحد ومعنى واحد، لا فصل بينهما من كلام يخالف معناه معناهما، وإنما يأتى بتكرير أية بكمالها في السورة الواحدة، مع فصول تفصل بين ذلك، وكلام يعترض به بغير معنى الآيات المكررات، أو غير ألفاظها" (الطبري، ١٩٦٨: ٦٤).

ثم أكّد سيد قطب نفي التكرار في القرآن بقوله: "ويحسب أناس أن هنالك تكرارا في القصص القرآني، لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في صور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية الغرض الذي تساق القصة من أجله، وطريق الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه، ينفى حقيقة التكرار (قطب، ١٩٧١: ٦٤).

ووافق على رأي سيد قطب شقيقه محمد قطب في ظاهرة التكرار حيث قال: "إن التنويع لا التكرار هو الظاهرة الحقيقية في القرآن، وإنه لمن إعجاز هذا الكتاب أن يعرض الموضوعات التى يكرر ذكرها للتذكير والتربية والتوجيه، بهذا القدر المعجز من التنويع بحيث لا تتكرر صورتان متماثلتان أبدا في القرآن كله، على كثرة المواضع التى يرد فيها كل موضوع (محمد قطب، ١٩٨٠: ٢٦١).

علاوة على ما سبق، وإذا تتبعنا آراء العلماء الآخرين وجدنا أن منهم من قال: إن التكرار فنّ من فنون البلاغة، وليس عيبًا، وهؤلاء القائلون بهذا لم يريدوا تغيير المصطلح،

فنفوا الإشكالية التي تَردّ عليهم، وقسّموا التكرار إلى قسمين: قسم حسن، وقسم قبيح، وجعلوا التكرار الذي في القرآن من القسم الحسن.

وفي رأيي أن القسمين فيهما إشكالية؛ ولذلك حصل هذا الاختلاف في نفي الظاهرة وإثباتها في القرآن، فلو أطلقنا على هذه الظاهرة التعدد لخرجنا من إشكالية المصطلح، وأطلقنا التكرار على ما يتضمن عيبًا في الكلام، لكان هذا أسلم للمصطلح، وأدق له، وأبعد عنهم الخلاف في التسمية.

وها هنا نلاحظ أن هناك أمر آخر في غاية الأهمية أيضا، وذلك أن في التكرار معنى دقيق في التحدي، ما نظن العرب إلا قد بلغوا منه عجبًا، وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء، وأصل المعنى واحد في العبارات المختلفة؛ كالذي يكون في بعض قَصَصه لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة، وتثبيت الحجة ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة، وترديد المنة، والتذكير بالنعم، واقتضاء شكرها، إلى ما يكون من هذا الباب، وهو مذهب للعرب معروف، ولكنهم لا يذهبون إليه إلا في ضروب من خطابهم؛ للتهويل والتوكيد والتخويف والتفجع، وما يجري مجراها من الأمور العظيمة، وكل ذلك مأثورٌ عنهم، منصوص عليه في كثير من كتب الأدب والبلاغة.

بيدَ أن وروده في القرآن مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته، وأنهم يُخلُّون عنه لقوة غريبة فيه لم يكونوا يعرفونها إلا توهمًا، ولضعف غريب في أنفسهم لم يعرفوه إلا بهذه القوة؛ لأن المعنى الواحد يتردد في أسلوبه بصورتين أو صورٍ، كل منها غير الأخرى؛ وجهًا أو عبارة، وهم على ذلك عاجزون عن الصورة الواحدة، ومستمرون على العجز لا يطيقون ولا ينطقون.

فهذا لعمرك أبلغ في الإعجاز، وأشدُّ عليهم في التحدي؛ إذ هو دليل على مجاوزتهم مقدارَ العجز النفسي الذي قد تمكن معه الاستطاعة أو تتهيأ المعاريض حينًا بعد حين، إلى العجز الفطري الذي لا يتأوَّل فيه المتأول، ولا يعتذر منه المعتذرون، ولا يجري الأمر فيه على المسامحة.

وفي هذا الإطار يقول مصطفى صادق الرافعي عن أهمية التكرار: "وقد خفي هذا المعنى –التكرار– على بعض الملحدة وأشباههم، ومن لا نَفَاذ لهم في أسرار العربية ومقاصد الخطاب، والتأتي بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد، فزعموا به المزاعم السخيفة، وأحالوه إلى النقص والوهن، وقالوا: إن هذا التكرار ضعف وضيق من قوة وسعة، وهو –أخزاهم الله– كان أروعَ وأبلغ وأسرى عن الفصحاء من أهل اللغة والمتصرفين فيها (الرافعي، ١٩٩٠: ١٩٤).

أنواع التكرار في القرآن

قسَّم العلماء التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين :

أحدهما : تكرار اللفظ والمعنى

وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى، وقد جاء على وجهين: موصول، ومفصول.

١. أما **الموصول**: فقد جاء على وجوه متعددة: إما تكرار كلمات في سياق الآية، مثل قوله تعالى: (**هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ** لِمَا تُوعَدُونَ) [المؤمنون: ٣٦]، وإما في آخر الآية وأوّل التي بعدها، مثل قوله تعالى: (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ **قَوَارِيرَا** ﴿١٥﴾ **قَوَارِيرَ** مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾) [الإنسان:١٥-١٦]، وإما في أواخرها، مثل قوله تعالى: (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ **دَكًّا دَكًّا**) [الفجر:٢١]، وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة، مثل قوله تعالى: (**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴿٥﴾ **إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴿٦﴾) [الشرح:٥-٦]، وقوله تعالى: (**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴿٣﴾ ثُمَّ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴿٤﴾) [التكاثر:٣-٤]، وقوله تعالى: (**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴿١٧﴾ ثُمَّ **مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴿١٨﴾) [الانفطار:١٧-١٨].

٢. وأما **المفصول**: فيأتي على صورتين: إما تكرار في السورة نفسها، وإما تكرار في القرآن كله.

مثال التكرار في السورة نفسها:

أ. تكرر قوله تعالى: (**وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**) في سورة "الشعراء" ٨ مرات.

ب. وتكرر قوله تعالى: (**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**) في سورة "المرسلات" ١٠ مرات.

ج. في سورة "القمر" مظهر من مظاهر التكرار، هو قوله تعالى: (**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**) حيث ورد في السورة أربع مرات، وهذه دعوة صالحة للتأمل فيما يسوقه الله من قصص (المطعنى، ١٩٩٢: ٣٢٨).

د. وتكرر قوله تعالى: (**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**) في سورة "الرحمن" ٣١ مرة؛ ثمانية منها ذكرت عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه (وهي الآيات من ١٦ إلى ٣٤)، ومبدئ الخلق ومعادهم. ثم سبعة منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم (والسبعة الثانية من ٣٤ إلى ٤٥). وحسن ذكر الآلاء عقيبها، لأن في صرفها ودفعها نعما توازى النعم المذكورة، أو لأنها حلت بالأعداء وذلك يعد أكبر النعماء. وبعد هذه السبعة، ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة (من الأية ٤٧ إلى ٦١). ثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما (من الأية ٦٣ إلى ٧٣)، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله، ووقاه السبعة السابقة (الكرماني، دون السنة: ٢٣١).

ومثال التكرار في القرآن كله:

أ. تكرر قوله تعالى: (**وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**) ٦ مرات: في سورة "يونس: ٤٨"، و"الأنبياء: ٣٨"، و"النمل: ٧١"، و"سبأ: ٢٩"، و"يس: ٤٨"، و"الملك: ٢٥".

ب. وتكرر قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) مرتين: في سورة "التوبة: ٧٣"، و"التحريم: ٩".

والثاني : التكرار في المعنى دون اللفظ.

إن المقصود من التكرار في المعنى دون اللفظ، هو عادة ما يرد كثيراً في القَصَص، كما هو الحال في قَصَص الأنبياء، كقصة آدم، وقصة نوح، وقصة لوط عليهم السلام، أو العذاب والنعيم في الآخرة، أو إحياء الموتى يوم القيامة، وبعض الظواهر الكونية كخلق السموات والأرض، فمع أن هذه القَصَص والظواهر المذكورة تتكرّر في السور القرآنية، إلا أنها تجيء في كل مرّة بصيغة مختلفة، وبمفردات مختلفة، ومن ثمّ فهي تَعرِض لأهداف مختلفة. فالألفاظ المستعملة في سياق هذه القَصَص تختلف من موضع لآخر، أما المعاني والعبر فتتكرّر من حين لآخر.

ومن أمثلة هذا النوع من التكرار، قصّة آدم عليه السلام المكررة في سورتى البقرة والأعراف:

قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾) [البقرة:٣٥-٣٧]

وقال عز وجل في سورة الأعراف: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾) [الأعراف:١٩-٢٠]

بعد قراءة تلك الآيات من سورتى البقرة والأعراف، وجدنا أنها تتحدث عن قصة آدم عليه السلام عندما كان في الجنة ونهي الله له عن التقرب إلى شجرة ما. فبقراءة سريعة وعابرة سيجد القارئ أن تلك الآيات تتحدث عن شيئ واحد لا يختلف بعضها بعضا، ولكن إذا قرأناها مرة أخرى وأمعنا النظر فيها سنجد أن بينها علاقة مشتركة حتى تتكامل القصة بتفاصيلها وتتزايد حكمها.

وهناك مثال آخر يتعلق بالتكرار المعنوي في القرآن، وذلك على النحو التالي: يقول الله تبارك وتعالى: (مَن كَانَ عَدُوا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿ ٩٨﴾) [البقرة: ٩٨]. أليس جبريل وميكائيل عليهما السلام من جملة الملائكة؟ فلأي معنى كرّر ذكرهما؟ والجواب على هذا: إن االعرب طريقة في الحذف والتكرار، فالحذف للإيجاز والتقصير، والتكرار للتقسيم والتفصيل. وقد قيل: إن فى التكرار ربما يكون زيادة فائدة كقوله تعالى (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿الرحمن: ٦٨﴾) الفائدة في ذكر الرمان والنخل وعطفه على الفاكهة: تشريف لهما على الفواكه. وهذه الأية من جملتها، عطف جبريل وميكائيل عليهما السلام على الملائكة تشريفا لهما (السمرقندي، ١٩٨٨: ٢٩٥).

وإضافة إلى التقسيم السابق لأنواع التكرار في القرآن، هناك نوع آخر من التكرار المتعلق بكيفية نزول القرآن، وهو **تكرار النزول**. هذه الظاهرة تدخل ضمن مسألة علم أسباب النزول يقصد به معرفة السور والآيات التى نزلت مرتين أو أكثر. ومن الممكن أيضا أن نصوغ تعريفا آخر لظاهرة تكرار النزول في القرآن وهو مجيئ الوحي بآية سبق نزولها في حادثة جديدة تتضمنها الآية نفسها (حسين أحمد، ٢٠١٢: ٢٨).

هناك أسباب عديدة ألجأت بعض العلماء والباحثين إلى القول بتكرار النزول، أشار إليه عبد الرزاق حسين أحمد في مقالته، نلخصها فيما يلى:

أ. تعدد روايات أسباب النزول وتعارضها، فصار القول بذلك ملجأ يلجأ إليه عند عدم التوفيق بين تلك الأقوال.

ب. الاختلاف في مكية سورة أو مدنيتها، أو أن يقال: إن الآية نزلت في المدينة في حين أن السورة التى اشتملت عليها مكية، وقد يكون العكس.

ج. الاختلاف في أوجه القراءات.

د. الوهم الواقع من قبل بعض الرواة حيث يقول: "فنزل" بدل "فتلا" مما يجعل البعض يتصور عند حصول التعارض عندئذ أن النزول قد تكرر.

ه. عدم تطبيق منهج المحدثين في الحكم على الروايات المتعارضة في هذا الباب، ونشأ من إهمال ذلك الوقوف على عتبة القول بتكرار النزول (حسين أحمد، ٢٠١٢: ٣٠-٣٣).

هذه هي بعض أنواع التكرار التى يمكن عرضها في هذا البحث، ولا مانع أن يكون هناك نوع آخر من التكرار يتلمسه من يقرأ القرآن ويتدبره.

فوائد التكرار في القرآن

ولقد علمنا ممّا سبق أن العلماء اختلفوا في دلالة توظيف هذه الظاهرة البارزة في النصّ القرآني، ورأينا أنهم انقسموا إلى فريقين: فريق نافٍ للتكرار تمامًا، وفريق مؤيّد له. فما هي إذن فوائد التكرار في النصّ القرآني الكريم؟

يقول ابن تيمية رحمه الله: "وليس في القرآن تكرار محض، بل لابد من فوائد في كل خطاب" (ابن تيمية، ٢٠٠٠: ٤٠٨). هذا الكلام معقول ومقبول عندي، لأن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، وإذا وجدنا ما فيه من النقائص في أي جهة من جهاته –في التكرار مثلا، كما زعمه البعض أنه مما لا فائدة له في كلام العرب–، فسيكون القرآن ضعيفا.

وقال ابن تيمية – رحمه الله – في التعليق على تكرار قصة موسى مع قومه: "وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع

الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة.

وكذلك القرآن إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح: فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر. وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور: فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة. وكذلك في الجمل التامة، يعبَّر عن القصة بجُمَل تدل على معانٍ فيها، ثم يعبر عنها بجُمَل أخرى تدل على معانٍ أُخَر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجُمَل معنًى ليس في الجُمَل الأُخَر" (ابن تيمية، ٢٠٠٠: ١٦٧-١٦٨).

وهناك علم آخر من أعلام العلماء المعاصرين الذى يعطى إهتمامه بهذه الظاهرة وهو بديع الزمان سعيد النورسي إذ يقول: "إن قلت: إن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكرارا كثيرة في الظاهر كالبسملة و (فبأي آلاء) إلخ... و(ويل يومئذ) إلخ... وقصة موسى وأمثالها، مع أن التكرار يمل وينافى البلاغة.

قيل لك: "مَا كُلُّ ما يَتَلَأْلَأُ يُحْرِقُ" فإن التكرار قد يُمِلّ، لا مطلقا. بل قد يُستحسن وقد يُسْأَم. فكما أن في غذاء الإنسان ما هو قوت كلما تكرر حلا وكان آنس، وما هو تفكه أن تكرر مُلَّ وأن تجدد اُسْتُلِذّ، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكار وغذاء للأرواح كلما استعيد استحسن واستئنس بمألوفه كضياء الشمس. وفيه ما هم من قبيل الزينة والتفكه، لذته في تجدد صورته وتلون لباسه" (النورسي، ٢٠٠٨: ٣٩).

وقال السيوطي – رحمه الله –: وله – أي : التكرار – فوائد، منها (السيوطي، دون السنة: ١٧٠-١٧٦):

١) للتقرير، وقد قيل "الكلام إذا تكرَّر تقرَّر"، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيا

وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾) [طه:١١٣].

٢) **للتأكيد**. قال الإمام السيوطي: التكرير هو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط.

٣) **لزيادة التنبيه** على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ **يَا قَوْمِ** اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ **يَا قَوْمِ** إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾) [غافر:٣٨-٣٩]، فإنه كرر فيه النداء لذلك.

٤) **للتعظيم والتهويل** نحو قوله تعالى: (الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾) [الحاقة:١-٢]، (الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾) [القارعة: ١-٣]، (وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾) [الواقعة: ٤١].

وإضافة إلى ما سبق شرحه، فهناك فوائد وحكم أخرى للتكرار كما عرضه العلماء نوردها على وجه مجمل فيما يلى:

أ. **التيسير على قارئ القرآن**. يقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي بيانا لهذه النقطة، "أنه لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءة تمام القرآن الذى هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت، فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر السور، لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآنا صغيرا، فسهل السبيل لكل أحد دون أن يحرم أحدا، فكرر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام" (النورسي، ٢٠٠٨: ٢٦٥). وزاد على البيان في موضع آخر بقوله: "لأن كثيرين لا يستطيعون قراءة كل القرآن، فيكون في بعض ما يقرأون ما يغنى عن الباقى لتكراره" (النورسي، ٢٠٠٨: ٣١٣).

وقد أشار إلى هذه الحكمة أيضا ابن قتيبة إذ يقول: "كانت وفود العرب ترد على رسول الله على الله عليه وسلم للإسلام، فيقرئهم المسلمون

شيئا من القرآن، فيكون ذلك كافيا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها لكل سمع، ويثبتها لكل قلب" (بن قتيبة، ١٩٧٣: ١٨١).

ب. **تثبيت الأسس**. وفي هذا الإطار يقول النورسي: "اعلم أن القرآن مؤسس لهذا الدين العظيم المتين، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلب لاجتماعيات البشر ومحولها ومبدلها، وجواب لمكررات أسئلة الطبقات المختلفة للبشرية بألسنة الأقوال والأحوال ... ولا بد للمؤسس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد" (النورسي، ٢٠٠٨: ٢٦٨).

ومن الممكن جعل هذه النقطة فرعا من النقطة التى بينها السيوطي سابقا، أن تثبيت الأسس يندرج ضمن التقرير والتأكيد، إلا أن النورسي رغب في إفراده بنقطة خاصة للتأكيد على أهمية الأسس الاعتناء بها وحاجتها إلى تكرر لتثبت في النفوس، وبين في هذه النقطة أن القرآن الكريم هو أساس هذا الدين (شكري، ٢٠٠٤: ٨٣).

ج. **تنوع الأساليب**. وأشار النورسي إلى هذه الحكمة بقوله: "اعلم أن القرآن الكريم يبحث في مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة ويدعو العقول إلى معرفتها، فلا بد لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوعة" (النورسي، ٢٠٠٨: ٧١).

وقد ذكر العلماء من فوائد التكرار أمورا كثيرة يمكن أن تندرج ضمن هذه النقطة، مثل: التعظيم والتهويل، الوعيد والتهديد، والتنويه والإشادة، والتشويق والتأنيس، والتوبيخ والتعجب، والتهكم والازدراء، والتفخيم والتعظيم، والمبالغة والتحريض، وكلها أساليب متنوعة توملا إلى تحسين

الكلام، كما يتميز أسلوب القرآن بالتنوع في العرض، ويمكن أن يمثل لهذا بالقصص القرآني، والآيات التى تتحدث عن اليوم الآخر وإثباته، وهي من الأمور التى يدعو القرآن إلى تقريرها وتثبيتها في القلوب، ولذا كان عرضها بأساليب متعددة وصور متنوعة، ليكون لهذا التنويع أثره العظيم في النفوس.

الخلاصة

وفي ختام هذا البحث المتواضع نخلص إلى أن التكرار أسلوب أدبي رصين سلكه العرب القدماء، ونهجه الفصحاء المتأخرون، فيلس كل تكرار مذمومًا، بل إن من التكرار ما يزيد الكلام حلاوة وطلاوة، ومن خلال البحث تبين أن هناك من نفى التكرار في القرآن الكريم نفيًا قاطعًا ظنا منه أن التكرار عيب، وهذا ليس بصحيح؛ لأن العلماء لم يعدُّوا كل تكرار عيبًا، وإنما العيب في التكرار الذي لا يضيف معنى جديدًا للقارئ أو السامع، أما ما حمل معنى جديدًا فهو من التكرار المحمود.

المراجـع

ابن الأثير، ضياء الدين. *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة. الرياض: منشورات دار الرفاعي، ط ٢، ١٩٨٤ م.

ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م.

ابن فارس. *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر، دون السنة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. *تأويل مشكل القرآن*. مقدمة المحقق، تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية، ١٩٧٣ م.

ابن منظور. *لسان العرب المحيط*. إعداد وتصنيف يوسف خياط. بيروت: دار لسان العرب، دون السنة.

أحمد، عبد الرزاق حسين. *مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم بين الإثبات والنفي*. منشور في مجلة الوعي الإسلامي مجلة كويتية شهرية جامعة، الإصدار الثالث والثلاثون ٢٠١٢ م.

البيت، خالد بن عثمان. قواعد التفسير جمعا ودراسة. دار ابن عفان، ١٤٢١ هـ.

الجرجاني، الشريف. *التعريفات*. بيروت: دار الكتب العلمية ، ط.١، ٢٠٠٠ م.

الحلي، صفي الدين. *شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع*. تحقيق الدكتور نسيب النشاوي. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربة، ١٩٨٢ م.

الرافعي، مصطفى صادق. *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠ م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. *البرهان في علوم القرآن*. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. لبنان: دار المعرفة، دون السنة.

السمرقندي، أحمد بن محمد بن أحمد. *المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى*. دمشق: دار القلم، ط.١، ١٩٨٨ م.

السيوطي، جلال الدين. *الاتقان في علوم القرآن*. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٤ م.

شكري، أحمد خالد. *بحوث في الإعجاز والتفسير في رسائل النور*. القاهرة: سوزلر للنشر، "ط.١، ٢٠٠٤ م.

الطبري، محمد ابن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. القاهرة: مصطفى الباب الحلبي، ط.٣، ١٩٦٨ م.

عوني، حامد. *الواضح للبلاغة*. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، دون السنة.

الفقي، صبحي إبراهيم. *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق*. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط.١، ٢٠٠٠ م.

قطب، سيد. *في ظلال القرآن*. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط.٧، ١٩٧١ م.

الكرماني، محمود بن حمزة. *أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان*. دار الفضيلة، دون السنة.

قطب، محمد. *دراسات قرآنية*. القاهرة: دار الشروق، ط.٢، ١٩٨٠ م.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد. *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*. القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٢م.

النورسي، بديع الزمان سعيد. *إشارة الإعجاز في مظان الإيجاز*. القاهرة: سوزلر للنشر، ٢٠٠٨ م.

_____. *الشعاعات*. القاهرة: سوزلر للنشر، ٢٠٠٨ م.

_____. *الكلمات*. القاهرة: سوزلر للنشر، ٢٠٠٨ م.

_____. *المثنوي العربي النوري*. القاهرة: سوزلر للنشر، ٢٠٠٨ م.

_____. *المكتوبات*. القاهرة: سوزلر للنشر، ٢٠٠٨ م.